غير محكم وكنا نفكر انه لربما تفرغ ذخيرتهم بدون جدوى وكان رصاصهم يقتل أو يجرح صدفة وأنه لا يوجد سبب للتأسف في معركة شريفة ولكن اذا جرح أو قتل الانسان في خدمة مدافعة كهذه وفقد الفرصة المرغوبة وهي الاشتراك في موقعة كبرى ستكون بعد قريب فهذا شيء لا نستلذ به وكانت الكلمات الآتية تخرج من أفواه الجنود الجروحة في المدافعة « لا أرجع أبداً الى الخلف ولا أريد أن أرسل الى محطة الربط الطبية » وهي تدل جليا على أسفهم ولذا يمكننا أن نشاركهم في احساساتهم الشريفة بكل قوانا

الفصل الخامس عشر

المعيشة في المعسكر

كنا اعتمدنا على خيامنا كوقاية كافية على الاقل من المطر والندى ولكنها صارت في حالة تعيسة لانها قطعت من الارياح وأتلفتها الامطار وأننا مكثنا تحت تلك الخيام نحو الستين يوما أعنى من يوم نزولنا البر وكانت الحظوظ تعاكسنا عند ايجاد محلات أخرى اذ القرى الصينية قلما توجد بها منازل عديدة بل فقط ثلاثة أو أربعة مما هنا وهناك وهي غير صالحة بالمرة لسكن جيش كبير ولما كنا نمضي أحيانا ليلة تحت سقف منزل محتمين به من جو رديء كنا نشم دائما رائحة الخنازير والثوم الرديئة وهي عندهم كما لو كنا ننام فوق فراش الحرير في غرف مزخرفة في وطننا فكانت الخيام منازلنا المعتادة وكانت حالتنا بهذه الكيفية أحسن بكثير مما لو كنا ننام في المزارع الرطبة

المكشوفة على الارض الا أن هذه الخيام المهمة لا يمكنها أن تؤدي خدمة زيادة عن وقايتنا من أشعة الشمس ولكنها صارت تسمح للمطر والارياح القاصفة أن تنفذ منها بكل سهولة وكانت أجسامنا تتحمل غضب الطبيعة ولكن كيف نحمي مؤونتنا ومدافعنا من الجو وهذه الاشياء كانت مهمة عندنا كالحياة نفسها وكان غير موجود لدينا مأوى حتى ولا شجرة لحمايتنا فكان صراخنا ونوحنا بدون فائدة ولما كان لا يمكننا عمل أي شيء كنا ننام على الاقل نومة هنية معرضين الى المطر وبذلك نستريح من تعبنا طول اليوم في أحلام سارة واذا نظر شخص الى أوجهنا النائمة خلسة في ليلة مثل هذه فما الذي يشاهده حينئذ ؟ يرى اننا كلنا نيام لابسين تماما وشعرنا طويل مبعثر ولحانا غير محلوقة كاننا شحاذون أو قطاع طرق وجلدنا المدبوغ مغطى بالتراب والاوساخ وفي حالة هزال عمومية وكانت مهمتنا الوحيدة الاكل وعندما توجد فرصة فضاء كانت أفكارنا موجهة نحو هذا السؤال : ما الذي يمكن الحصول عليه للاكل ؟ هل عندك شيء جيد ؟ ولكن يلزم أن يكون معك شيء طيب اعطي بعضا منه وهذه كانت أنواع التحيات عندما تقابل في أي مكان وكنا نشوي البسلة أو الفول أو القمح عندما نكون منفردين ثم نمضغها وكان ذلك ينتج منه صوت كصوت الفيران عند ما تقرض شيئا قويا وهذه التجارب كانت ترينا كيف كانت معيشة الترف في الوطن والاستيلاء على (دالني) اعطى الجيش تسهيلات حسنة لارسال المؤونة الينا وكنا عائشين عليها بدون جوع وعند ما نوجد في محاربة حقيقية كانت الجنود تسلم مؤونتها بالتمام وكانت تطبخها بانفسها وكنت تراهم في ظل صخرة أو

فى زاوية حجر يطبخون طعامهم باعواد الذرة بدل الحطب وهم فى وسط الدخان الخانق يجهزون ارزهم مسرورين كالاولاد الصغار وكانت المشتهيات اللذيذة بالاكثر الخيار والبطاطس الناشفة والمأكولات التى فى العلب اذ كنا نضطر أحيانا الى أن نأكل بقسماط ناشفا بدون ماء أو نرحب بارز نصف مشوى كمشتهى عظيم أو طرشى برقوق مملح وكانت حالتنا فى (شوانجشياتون) أحسن اذ كنا نجد هناك بعض حشيش أخضر وبعض زهو رلطيفة كانت تتبسم لنا وكنا نلتقط هذه الازهار وننسقها فى (قنبلات) فارغة أو نضعها فى عروة زرائرنا وكانت تنشر روائح عطرية وزهرة (لاتنسانى) الزرقاء الحائلة كانت تجعل افكارنا تطير نحو اعزائنا فى الوطن

ونحن المحاربين اليابانيين كان عندنا عدو آخر خلاف الروسيين وهو الشيطان الهائل المسمى طقسا ومهما كانت شجاعة الرجل يمكن أن يمرض فى أى لحظة فيترك خط القتال هذا اذا جرحه العدو المسمى طقسا وأحيانا من عدو آخر اسمه طعام وان التعرض الى الريح والمطر يحدث أمراضا خبيثة وانه لمن الصعب الانتظار فى الملابس المبلولة لحين ظهور الشمس وتنشيفها وهذه الصعوبة تتزايد كثيراً عندما نوجد فى حذر دائمى بما أنه ربما يهاجمنا العدو بغتة فى أى وقت وفى هذه الضواحى لا توجد أشجار تستحق الذكر ولكن توجد حشائش كافية لعمل سقوف لمساكن وقتية وهذه السقوف ولو أنها كانت كافية للوقاية من حرارة الشمس ولكنها كانت بدون فائدة بالنسبة للمطر والزوابع بل كانت أردأ من الخيام المقطعة فى الطقس الرطب وهكذا كنا نقاوم زوابع نيران العدو أما الزوابع الطبيعية

هذه فكانت شديدة علينا ولقد بلل المطر أجسام جنودنا وزيادة على ذلك فان أشغالهم الكثيرة ليلا ونهاراً وقلة نومهم وشربهم أردأ المياه كل ذلك سبب انتشار أمراض خبيثة بينهم كالدوسنتاريا التى كانت شديدة الوطأة على قوانا ولما أتى دورى وهاجمنى هذا المرض كنت ضخما قويا ابتدأت أفقد لحمى ونشاطى بسرعة فخشيت أن يهزمنى هذا العدو وحده ولذا كنت حزينا كئيبا وعلى العموم فان الانسان لا يرحب بأى مرض وتزداد الصعوبة اذا وقع الانسان مريضا عند عدم امكان ايجاد الوسائل الطبية والصحية كما يجب وزد على ذلك انا كنا منتظرين كل يوم أوامر التقدم للمحاربة واذا فرض أن هذه الاوامر صدرت قبل شفائنا يجب أن نتخلف ولا نشترك فى أخر محاربة أخرى مادمنا كذلك وكانت هذه الفكرة تجعلنا نحن المرضى عديمى الصبر نزانى وانى لا أنسى لطف ثلاثة أشخاص أحسنوا معى فى ذلك الوقت وهؤلاء هم اثنان من الاطباء (ماسايش باسوى) و(هاجيمى أندو) ومراسلتى (بونكيشى تاكاؤ) وكان هذان الطبيبان رغما عن مرضى الشديد يحضران دوائى وطعامى معتنين بى كثيراً وكانا يرويان لى حكايات مسلية ومفيدة ليسليانى ويشجعانى بها وانى أشكر مجهوداتهما التى تحسنت حالتى بها وسمح لى أن ألحق بالمحاربة الشريفة وأؤدى واجبى فى الخدمة والمحاربة ولما كان ليدان يربط المحاربين بعضهم فيكونون كالاخوة أو كالآباء والابناء وهذه الرابطة علقتنى كثيراً بهؤلاء الرجال اذ جميع الوقت الذى مضيناه معا فى الميدان كنت اسر بمشاركتى لهم فى الاشغال والمتاعب وأن القتل والجرح فى المحاصرات الشديدة للاستحكامات القوية لا يكونان فقط بين جنود الخطوط الامامية بل ربما زارا الاطباء

والغير محاربين الآخرين في الخلف وأيضا بما عرض الاطباء أنفسهم للهلاك بالتوجه الى الامام فى خط القتال لاسعاف الجرحى وكنا لانعرف من الذى يسبق رفيقه الى الموت وكنا نتحادث بيننا بالآتى : اذا أنت قتلت وأنا بقيت سالما اجمع كل أشيائك وأحفظها عندى كتذكار عزيز لصحبتنا في الميدان واذا أنا مت وأنت سلمت فاحفظ من فضلك قطعة من هدومى الملوثة بالدماء وسلمها الى ذريتك ودمى هذا القانى يكون كذلك تذكارا لصحبتى الخالصة لك ورمزا الى خدمتى الصادقة لجلالة المليك الاعظم

وكانت هذه الحادثات مما تربطنا ببعضنا كثيراً وكانت هذه نيتنا ولكن عادة فى معمعة القتال لا يعرف الشخص أين وقع صاحبه ؟ حتى غالبا لا يمكن الحصول على جثته أما نصيب اللقاء في الحياة أو الممات كان شيئا لا يمكن أن يعول عليه وانى أضرب لكم مثلا وهو عند ماصدر الينا الامر بالهجوم العام الاول على بورت ارثور سلمت على هذين الطبيبين مودعا لهما آخر وداع غير منتظر أن أراهما ثانيا فى هذا العالم ولكن بعد ما أحاط بى العدو وتهشمت أعضائى فى (وانجتاى) انقذنى جندى شجاع وحملنى بعيداً عن الخطر فأفقت بهذه الكيفية الغريبة من فم النمر وكنت غائب الصواب وفتئذ وعند رجوعى الى رشدى كان صاحباى الطبيبان (ياسوى) و(اندو) قابضين على يدى المهشمة قائلين « نحن نشكرك » وقد اعتنيا بى كل الاعتناء وأرجعا فى الحياة بعد الموت وكنت أعجب بأخلاص وأمانة ونشاط مراسلى (بونكشى تاكاهو) الذى هو من بلوكى ولذا عند ما نقلت الى أركان حرب رئاسة الآلاى قدمت طلبا خصوصياً الى بوزياشته وأبقيته كمراسله عندى وان العلاقة بين الضابط

ومراسلته متينة فى وقت السلم وهى نصيراً متين عند وجودهما فى ميدان القتال اذ تكون حينئذ كعلاقة تابع ومتبوع بل كعلاقة أخ كبير وصغير فكنت أثق بتكاؤ هذا فى كل شيء وهو أيضا كان متعلقا بى بكل اخلاص فكان يطبخ لى ويحضر لى طعامى ويحمل لى الماء من مسافات بعيدة ويجهز لى حمامات دافئة جيدة وكانت توجد الجمل الآتية فى جواباته لوالدى

« من وقت حضورنا للميدان ونحن لاثنان بصحة جيدة فكن من فضلك مستريح البال لانى معتن بملازمى ولو اننا فى ميدان القتال لا نعلم متى سنفترق من بعضنا الا انى سأحرس ملازمى حتى لى ما بعد الممات وانى لا انسى لطفه فاعتبرنى من فضلك كاحد افراد عائلتك الى ابد الابد » فيا هذا الاخلاص ! وما هذه الامانة ! فحينما كنت مريضا كان يقعد طول الليل ناسيا تعب شخصه ليدلك صدرى ويفرك أذرعتى وعند ما كنت أطلب غذاء كان يرجونى ويلاطفنى كما لو كنت طفلا صغيراً قائلا لى :

« لا يمكن أن تأكل شيئا الآن ولكن عند ما تتحسن حالتك أعطيك كل شيء تريده »

وكان شديد الحرص على أن لا يترك أى شيء أريده وانى اقدس اخلاصه وأشكره كثيرا ولما جرحت كان (تكاؤ) ليس فى خدمتى لانه كان جريحا ايضا ولما بلغه انى جريح وكان مرسلا للخلف عمل كل ما فى استطاعته للبحث عنى فى جميع المستشفيات ولكن كان ذلك بدون جدوى فتضجر كما علمت بذلك فيما بعد وكأن السماء كانت تريد سلامة رجل مخلص مثل (تكاؤ) ولذا كان له الحظ الاوفر لرجوعه للوطن بعد النصر الاخير بعد

ما جرح مرتين وبعد ما كان ثلاثا فى القتال وهو معروف الآن كخادم أمين ومحارب قديم وكثيرا ما كان يؤدى بنجاح خدامات مهمة كمراسلة ببسالة فائقة وذهن متقد وهما كانا يساعدانه دائما فى أوقات الصعوبات

ومع كون معسكرنا كما ترى كان معرضا الى هجومات الزوابع والحر والمرض كانت مقذوفات العدو تزورنا كثيراً التى كانت تسلينا ومع كل ذلك كانت حماسة الجنود والضباط تزداد يوما بعد يوم مع جوعهم وعطشهم منتظرين فرصة عاجلة لابتداء الهجوم

الفصل السادس عشر

زوبعة فى خط القتال

أما الروسيون الذين كانوا محاصرين فى بورت ارثور فانهم كانوا يردون دائما على أعقابهم فى دائرة تضيق كل يوم حتى أنهم اضطروا أن يحاولوا عبثا بأن يكسروا خطنا ليوسعوا دائرة أعمالهم ولكن انهزامهم المتعاقب فى (كنزان) يظهر أنه كسر قلوبهم فيئسوا من استرجاع التل الا انهم كانوا يهاجمون يوميا بعض نقط خطنا بحمية ومع ذلك فانهم لم ينجحوا ولا مرة وكانت نتيجة مسعاهم خسارة ذخيرتهم ورجالهم

وفى ١٠ يوليو تقوبا أرسلنا بعض كشافين الى تل منحدر أمام خطنا سميناه (إيوايانا) أعنى التل الصخري لان كشافة العدو كانت تظهر هناك محاولة أن تتجسس حالة مدافعتنا فطردناها كشافتنا وهناك وضعنا قره قولاتنا